فلم تكن غير أيام حتى بعث أحمد بن طولون إلى أحمد بن المدبر يقول له قد
كنت أعزك الله أهديت لنا هدية وقع الاستغناء عنها ورددناها
عليك بتوفيرها ويجب أن تجعل العوض عنها الغلمان الذين رأيتهم بين
يديك فأنا إليهم أحوج منك فقال ابن المدبر لما بلغته الرسالة هذه
أخرى أعظم مما تقدم وقد صار له بأمر بعثهم إليه فتحولت هيبة أحمد
ابن المدبر إلى أحمد بن طولون ونقصت هيبة ابن المدبر بمفارقة الغلمان
فكتب ابن المدبر إلى الخليفة يحرضه على عزل ابن طولون فبلغه ذلك
فكتم ذلك في نفسه ولم يبد له وانقضى موت المعتز في رجب سنة خمس
وخمسين ومائتين وأقام المهتدي بالله بن الواثق فأقر أحمد بن طولو
ن وزاد له أعمالا على مصر من جملتها اسكندرية وتوجه ابن طولون إلى
الاسكندرية وتسلمها ولم يزل يتناول الأمور شيئا فشيئا إلى أن قويت
شوكته وكثرت عساكره وتغلب وصار سلطانا بمصر وتحول من دار النيابة
بقصر الشمع وبنى بناء بين مصر وجامعه وسماه القطائع وهو أول من
تسلطن بمصر وكان حكمه بمصر والشام والعراق والحجاز وكان يشتغل
بالعلم والحديث وصرف على الجامع المعروف به الذي مائة ألف
وعشرين ألف دينار وكان له للنفقة برسم الصدقة كل يوم ألف دينار
ورتب للعلماء وأرباب البيوت كل شهر عشرة آلاف دينار ومما
يحكى عنه أنه تساقطت النجوم في أيامه فراعه ذلك فأحضر من
عنده من المنجمين والعلماء وسألهم عما أجابوا به فدخل الجمل المصري
الشاعر وهم في الحديث فأنشد

٥

فقالوا

• فقالوا تساقطت النجوم • لحادث مفزع عسير •
• فأجبت عن مقالهم • بجواب محقق خبير •
• هذي النجوم المتساقطات • رجوم أعداء الأمير •

فتفاءل ابن طولون واستبشر وأمر له بخلعة سنية وصلة وقال للجماعة
أف لكم أما كان فيكم من يحسن أن يقول مثل هذا وتوفي أحمد بن طولو
ن ليلة الأحد لعشر بقين من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين ودفن
خارج باب القرافة وكانت مدة سلطنته عشرين سنة وشهرين وخلف
ثلاثة وثلاثين ولدا منهم سبعة ذكور وخلف من الذهب عشرة آلاف
ألف دينار ومن المماليك عشرة آلاف ومن الغلمان أربعة وعشرين
ألفا ومن الخيل عشرة آلاف ومن البغال والحمير ستة آلاف ومن الجمال
عشرة آلاف ومن المراكب الحربية مائة مركب قيل إنه رؤي في المنام
فقيل له ما فعل الله بك فقال إنما البلاء على من ظلم من لا ناصر له إلا
الله وما علو وساء الذين اشترى الحياة لطالب الانصاف وقال
بعضهم كنت أرى شيخا يقرأ على قبره ثم تركه فسئل عن ذلك فقال
كان له علينا بعض إحسان فأحببت أن أصله بالقرآن فقال لا تقرأ علي
شيئا فإنه لا تمر آية إلا قيل لي أما سمعت هذه والله تعالى أعلم •

• ثم تولى بعده ولده خمارويه •

وبايعه الجند لعشر بقين من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين
فتعقب ما كان يفعله والده من الخيرات والصدقات والمأكولات
والرواتب والهيبة وزاد على ذلك وأخذ الميدان وجعله كله بستانا

ع
بيوم الأحد

Copyright © King Saud University